

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مُجَدِّ وآله الطيبين الطاهرين سيما خليفة الله في الأرضين، واللجنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

مباحث التزاحم

(٩٢٦)

من ثمرات القول بنفس الأمر والقضية الحقيقية

وأما الثمرات التي تترتب على القول بنفس الأمر والقضية الحقيقية والخارجية فهي كثيرة في الأصول والفقه والكلام والفلسفة والتفسير وغيرها^(١).

ثمرات ذكرها المحقق النائيني

وقد ذكر المحقق النائيني ثمرات عديدة لعلها تبلغ الخمسة، وهي من أمهات المباحث التي تبتنى على القول بالقضية الحقيقية وثبوت الحكم فيها على الطبائع (التي هي من نفس الأمر - كما أوضحنا) في بحث الواجب المطلق والمشروط بالشرط المتأخر، وبحث أمر الأمر مع علمه بانتفاء شرائطه، وبحث التمسك بالعام في الشبهة المصدقية^(٢) وفي مسألة اختصاص الخطاب بالمشافهين وعدمها^(٣).

وسنذكر ههنا بعض الثمرات الأصولية الأخرى وبعض الثمرات الكلامية التي لم يتطرق لها الأعلام. وينبغي التنبيه إلى ان كثيراً من المباحث المنطقية لم تجد سبيلها إلى الكلام والتفسير لتزديدهما ثراءً كما وجدت سبيلها للفقه والأصول، وقد استوعب علم الأصول؛ نظراً لتطوره، كثيراً من المباحث المنطقية واستثمرها في مسائل الأصول، ولكن علم الكلام، على العكس فانه نظراً لجموده النسبي بشكل عام منذ مآت السنين، أي جموده بالقياس للتطور الكبير في علم الأصول، لم يستثمرها كما ينبغي.

أ- حلّ نفس الأمر لمعضلة صدق القضايا وردّ الهرمينوطيقيا

أولاً: فمن الثمرات الكلامية والفلسفية: إن (نفس الأمر) يحلّ معضلة المقياس في صدق القضايا ويشكّل إجابة حاسمة على دعاوى الهرمينوطيقيين من نسبية المعرفة والحقيقة.

الملازمة في آية (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) نفس أمرية

وتوضيح ذلك في ضمن مثال من القرآن الكريم لنجد ثمرة هذا البحث في التفسير أيضاً فقد قال تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)^(٤) فان الملازمة بين المقدم (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ) والتالي (لَفَسَدَتَا) إنما هي في عالم نفس الأمر، لا الخارج ولا الذهن: أما انما ليست في الخارج فذلك لوضوح ان الموضوع والمحمول (أي المقدم والتالي) ليسا في الخارج موجودين، بل الأول^(٥) مستحيل ذاتاً والثاني مستحيل وقوعاً، فكيف تكون الملازمة بينهما القائمة بهما في الخارج؟ بعبارة أخرى: ليست الآلهة في الخارج؛ لامتناعها، ولا الفساد متحقق فيه بالضرورة، فكيف تكون الملازمة بينهما في الخارج مع قيام الملازمة بالمتلازمين؟

وأما انما ليست في الذهن فلوجهين: الأول انه ليس المراد الملازمة الذهنية ولا المقدم والتالي الذهنيين إذ ليس المراد انه لو كان في الذهن آلهة إلا الله لفسدتا ذهناً (أو حتى لفسدتا خارجاً)^(٦) وان الملازمة بينهما إنما هي في الذهن، بل المراد لو كانت الآلهة في الخارج للزم الفساد الخارجي وبعبارة أخرى: ليست الملازمة بفرض فاضل وذهن ذاهن بل هي قضية حقيقية ثابتة في نفس الأمر لا بمجرد فرض الفاضل، كما سبق.

الثاني: ان وجودها في الذهن ليس ملاك بطلانها أو صحتها، أي ليست صحة الملازمة وعدمها بفرض الفاضل؛ وإلا للزوم عدم الفرق

(١) لا يخفى ان بعض الثمرات الآتية ثمرات القول بالقضية الحقيقية أو الخارجية، وبعضها ثمرات القول بنفس الأمر مع قطع النظر عن نوعي القضية.

(٢) راجع فوائد الأصول ج ١ - ٢ ص ١٧٢.

(٣) المصدر ص ٥٥٠.

(٤) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

(٥) وجود آلهة متعددة.

(٦) وإن صحت القضية والملازمة على هذا لكنها ليست مقصودة.

بين القول (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) و(ولو كان فيهما آلهة إلا الله لصلحتا) فأنهما معاً في الذهن وكلاهما افترضه الفارض، فلو قبلنا بوجود عالم نفس الأمر - كما هو كذلك - لكان وجه صحة (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) مطابقة هذه القضية الشرطية لعالم نفس الأمر إذ الملازمة في عالم نفس الأمر مرآة لحصول الفساد في الخارج، وكان وجه فساد (لو كان فيهما آلهة إلا الله لصلحتا) عدم مطابقته لنفس الأمر، واما لو نفينا عالم نفس الأمر لما كان فرق بين القضيتين الفرضيتين (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)^(١) و(لو كان فيهما آلهة إلا الله لصلحتا) إذ كلاهما في الذهن بنحو واحد ولا مطابق لهما في الخارج لوضوح انتفائهما فيه كما لا مطابق لهما (أو عدمها) في نفس الأمر لفرض دعوى نفيها، فمن أين ان أحدهما صادقة والأخرى كاذبة؟

ب- مباحث الاستلزامات، من نفس الأمر

ومن ذلك ظهرت الثمرة الأصولية الأخرى وهي ثانية ثمراتنا وهي:

ثانياً: مباحث الاستلزامات، مثل: استلزام طلب الشيء طلب مقدمته أو استلزام وجوبه وجوبه أو الأمر به الأمر به؟، واستلزام الأمر بالشيء النهي عن ضده العام أو الخاص، وغيرها، فانه بناء على الاستلزام فانه من عالم نفس الأمر إذ لا يتوقف الاستلزام على أحد الوجودين، بل ان طبيعة هذا لازمة لطبيعة ذاك حتى مع قطع النظر عن الوجودين.

ج- المستقلات العقلية، من نفس الأمر

ثالثاً: ومن المسائل الكلامية والفقهية: المستقلات العقلية، فان (الظلم قبيح في حد ذاته) أي ان طبيعة الظلم هي قبيحة وهو بما انه ظلم قبيح كما ان طبيعة العدل هي حسنة في رتبة تقررهما سابقاً على الوجود، ويوضحه التعليل إذ يقال: لأن العدل حسن فأوجده، لا لأن حسنه لاحق لوجوده أو لازم له فأوجده، بل حسنه الذاتي علّة طلب وجوده، وكذا يقال: لأن الظلم بذاته قبيح فلا تفعله أي لا توجده. فهذه كلها من عالم نفس الأمر وقضايا من دائرة القضايا الحقيقية.

د- العلوم الحقيقية من نفس الأمر، عكس العلوم الخارجية

رابعاً: ان العلوم الحقيقية تبني على القضايا الحقيقية، والعلوم الخارجية تبني على القضايا الخارجية، اما العلوم الاعتبارية ففيها تفصيل، وبيان ذلك:

ان العلوم الحقيقية، كالمهندسة والحساب، قضاياها هي قضايا نفس أمرية؛ فان المثلث يساوي قائمتين مثلاً حكم لوحظ فيه نفس ذاته ومع قطع النظر عن وجوده، فلأنه في ذاته يساوي قائمتين فانه إذا وجد ساوى خارجاً القائمتين لا انه في حد ذاته لا يساوي قائمتين لكنه إذا وجد ساواهما!، فمسائل هذه العلوم كلها من مصاديق القضايا الحقيقية، لذلك تكون براهينها قطعية، أي يطلب منها القطع.

واما العلوم الخارجية، كالفلك والجغرافيا، فهذه موضوعاتها ومسائلها وقضاياها خارجية؛ إذ يبحث مثلاً عن خصائص هذا البلد أو ذاك وجباله وسهوله وبجاره وأنهره ومناخه وحدوده وتعداد سكانه الخ وكلها قضايا خارجية جزئية.

واما العلوم الاعتبارية، كالفقه والأصول والنحو والصرف، فمختلفة الحال: اما النحو والصرف فكل مسائله اعتبارية إذ الفاعل مرفوع مثلاً إنما هو يجعل جاعل ولا واقع له في حد ذاته قبل جعله وكان يمكن ان يجعل العكس.

نعم القضية الحقيقية قد تبني على القضية الاعتبارية للحقيقية قسماً: حقيقية بذاتها وحقيقية بعد اعتبار المعبر وذلك لأنه قد يجعل حكم (مرفوع) على طبيعي (الفاعل) لا على أفرادها مباشرة.

واما الأصول فمسائل متنوعة فبعضها من الاعتبارية وبعضها من الحقيقية: ومن الأول: ان الأمر ظاهر في الوجوب وموضوع له.

ومن الثاني مباحث الاستلزامات ومثل امتناع الترتب واجتماع الأمر والنهي وامكانهما وهكذا وللبحث صلة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

قال الإمام الكاظم عليه السلام: ((اَشْتَدَّتْ مَثُونَةُ الدُّنْيَا وَالِدِّينِ فَأَمَّا مَثُونَةُ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لَا تَمُدُّ يَدَكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا وَجَدْتَ فَاجِرًا قَدْ

سَبَقَكَ إِلَيْهِ وَأَمَّا مَثُونَةُ الْآخِرَةِ فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ أَعْوَانًا يُعِينُونَكَ عَلَيْهِ)) تحف العقول: ص ٤٠٩.